

## فُكَاهاَت

## رَقَائِصُ

مكاييد الصينيين<sup>(١)</sup>

روى فتى انكليزي الاصل عن نفسه الواقعة الآتية فقال  
ولدت في باكين عاصمة الصين من ابوين انكليزيين ولما بلغت السنة الخامسة  
من عمري ارسلاني الى المدرسة الملكية فتلقنت فيها العلوم اللازمة وعلى الخصوص  
اللغة الصينية فاتقنتها جيداً ودرست لهجتها وفلسفتها فكنت لا أفرق فيها عن علماء  
الصينيين في نغمة الكلام وحسن التعبير وألفت عوائد الصينيين واحوالهم وملابسهم  
حتى صرت اذا مررت في الاسواق لا يشك احد اني منهم فكان ذلك مما سهل  
لي ان دخلت في بلاط ابن السماء امبراطور الصين فخطبت عنده وعهد الي في  
اشغال كنت اقوم بها على غاية ما يرام

ومرت علي في مناصبي خمس سنوات قضيتها في الدأب والاجتهاد والقيام بما  
القي على عاتقي من عبء الاشغال والمهمات الخطيرة ورأيت بعد ذلك ان لا بد لي  
من طلب الراحة وترويح النفس فاستأذنت الامبراطور فسمح لي ببيعة اسايح  
عزمت ان اقضيها في هونغ كنغ عند بعض ذوي قرابتي واتمتع بمشاهدة ابنة عم لي  
هناك اسمها جوليا كانت قد زارتنا مع والدها منذ سنة فاحببتها واحببني وبعد ان  
عادت الى هونغ كنغ اخذت ترادف الي رسائلها وتلح علي في رد الزيارة

ولما اتممت معدات السفر ودعت والدي وسافرت برّاً وكنت كلما بلغت مدينة  
استقبلي اهلها بالاجلال والترحاب لسبيين اولها اني في خدمة ابن السماء وثانيهما

(١) معربة عن الانكليزية بقلم نسيب افندي المشعلاني

اعتقادهم التام اني صيني الاصل من لون وجهي وملامحي ونطقي . ولما بلغت مدينة هان شو تذكرت صديقاً لي اسمه شي لي لنغ وهو حاكم ايالة شي كيانغ وكان رصيفي في المدرسة ثم تفرقنا فتعينت انا في مناصبي وتعين هو حاكماً للايالة المذكورة فلم تتمكن من زيارة بعضنا بعضاً مدة تلك السنوات الخمس ولما رأيت نفسي وقد القاني الترحال في مدينته عزمتم ان ازوره فسألت عن داره وتوجهت اليه . وكنت اتوقع ان اراه غض الشباب قوي البنية معتدل الاعضاء لانه لم يكن باكبر مني سناً ولكنني عند مقابلي له رأيت كانه قد زاد في عمره ربع قرن فانه كان مهزول البنية ضعيف الجسم قد انحنت قامته وارتمت على وجهه أمارات الكبر فاستغربت ذلك لعلمي ان اصحاب الخطط العالية يكونون في الغالب اصحاب صحة جيدة وابدان سمينة الا اذا كانوا من ذوي الامانة فشغلهم مهام وظائفهم عن التمتع بالراحة والتبسط في الملذات . ومع ما كان عليه شي لي لنغ من الاتقياض الباطن وما يتنازعه من الهموم فانه قابلني بالبشاشة والترحاب فقضيت معه بقية ذلك اليوم ونحن نتشاكى الاشواق وتذكر ما سبق من ايامنا المدرسية الى وقت العشاء . وفي المساء جلست واياه تحدثت فقلت له اني كنت عازماً ان اهتلك ايها الصديق بما قسم لك من هذا المنصب الخطير ولكنني اراك غير مسرور منه فلا ادري ماذا يسرك لأتمناه لك . قال تمن لي دعة البال فقد عدمتها في هذه الايام الاخيرة ولذا تراني في اسوأ حال . قلت وما عساه ان يقلق بالك وانت في هذه النعمة وسعة العيش وفوق ذلك فاني اعلم يقيناً ان ابن السماء يودك كثيراً وتسره اعمالك . قال اجل اني لا انكر ذلك من ابن السماء الا ان في حوزتي وفي بلاطه اناساً لا ينامون ما لم يأتوا مفسدة او دسياسة فهم ينصبون لي الاشرار التي لا يمكن تخطيها يرومون اسخاط ابن السماء علي ليقتلني ويوليهم مناصبي

وكانت تظهر عليه في اثناء حديثه علامات الكمد والقلق الشديد فأثر في ذلك وقلت له الا يمكنني ان اساعدك بشيء ايها الصديق . قال ربما مكنك تقربك من الامبراطور ان تستعطفه علي ولكن الداهية الكبرى انما هي في بلدي هذه

ولست اعلم كيف اعالجها . قلت له الا تفصح لي عن جلية امرك لعلني استطيع ان اساعدك في هذه البلدة ايضاً ولو برأيي او نصيحة . فاطرق هنيئاً ثم تفرّس في وقال اسمع فاقصّ عليك امري . اني قضيت الاربع سنوات الاولى من حكمي في غاية الراحة والدعة وكنت راضياً عن الرعية كرضاها عني ولكن حرك الحسد على ما اظن شيطان الغيرة في قلوب بعض المقرّبين اليّ فعمدوا الى ارتكاب فظائع هي من وراء طور الادراك اعيتني الحيلة في كشف سرها والوقوف على مجرميها فرُميت من اجل ذلك بالعجز والقصور عن سياسة الرعية وتواردت شكاويهم الى البلاط وهي ولا شك ستؤثر هناك وتكون سبباً لزوال نعمتي . اما تلك الحوادث فانه ما ابتدأت السنة الخامسة من حكمي حتى بدأت معها طلائع الشؤم فقد حدث في هذه السنة اختفاءات غريبة لم اتمكن مع كل مقدرتي من كشف اسرارها ففي الشهر الاول بلغني ان فتى يدعى فو ابن صيرفي شهير اختفى بغتة فقام الناس لهذا الخبر وقعدوا وبذلت كل ما في طوقي لمعرفة مقرّه وكيفية اختفائه فلم اترك واسطة او سعيّاً حتى استخدمته ولكن على غير جدوى وجل ما امكننا معرفته ان فو المذكور تولع كغيره من ابناء الاغنياء بلعب الميسر وانه سرق يوماً من مصرف والدم مبلغاً كبيراً من المال واختفى في نفس اليوم ولم يوقف له على اثر . وفي الشهر الثاني اختفى ايضاً تاجر شاي شهير يدعى شان سي في احوال تشبه احوال الاول فضاعفنا الهمة وبذلنا الجهد في البحث عنه ولكننا لم نظفر بطائل . وفي الشهرين التاليين فقد ايضاً اربعة من كبار الممولين في البلدة وفي الثلاثة الاشهر الاخيرة اختفى خمسة غيرهم . وكنت في اثناء ذلك قد بثت الجند والجواسيس في كل ناحية واقمت حراساً على محيط البلدة بحيث لا يمكن ان يخرج مخلوق ما برّاً او بحراً بدون جوازٍ مني وهذا ما اكد لي انه لا يمكن بل يستحيل قطعاً ان يكون هؤلاء المفقودون قد غادروا البلدة . وقد قتشت المدينة بيتاً فيتاً ولا سيما محلات القمار لعلني اعثر على هؤلاء الاشخاص ان كانوا احياء او على جثثهم ان كانوا قد ماتوا او قتلوا او على رمادهم ان كانوا قد اُحرقوا فلم اقف على شيء من ذلك فلا بد ان يكونوا قد تحولوا الى بخار

تصاعد في الجوّ والاّ لتمكنا من الاهتداء اليهم  
 فاستغربت الامر جدّاً واخذت اجول مع الحاكم في الاسئلة فتبين لي انه  
 وجنوده وشحنته لم يدعوا ضرباً من ضروب الاحياط الا استخدموه وتحققت ان  
 الاشخاص الخنفين لم يخرجوا من المدينة فغصت في تيار الافكار وعزمت ان اسعى  
 في كشف هذا المعنى مساعدةً للحاكم ورغبةً مني في كشف مثل هذه المخبات لميل  
 خصوصي في اكتسبته مما قرأته عن مساعي شحنة انكلترا في كشف امثال هذه  
 الخفايا . ورأى شي لي لنغ استغراقي في التأملات فقال ماذا ترى قلت اني افكر في  
 مساعدتك على هذا الامر فتبسم استخفاً بقولي ثم عاد فقال ربما نوفق بمعاونتك  
 الى حل هذا المعنى واذا امكنك ذلك فلك مني ما تطلب . وكانت كل دقيقة  
 تمرّ تزيد في رغبة السعي فوعده ان ابقى عنده الى ان اتبين الامر « والاّ فلا  
 اكون انكليزياً »

وفي الصباح التالي قت فاصلحت ثيابي الصينية وصبغت وجهي وشعري ببعض  
 الالوان وخرجت من غرفتي فرأيت الحاكم في ردهة الدار ولما رأي لم يعرفني  
 واستغرب دخولي فكلمته فلما سمع صوتي عرفني وتعجب من تغيير هيئتي فتناولنا  
 طعام الصباح وخرجت بعد ان وعده ببذل الجهد في تنسم اخبار ذلك الاخفاء  
 الغريب

وخرجت الى شوارع المدينة فجعلت ابحث عن محلات الميسر واتقن في  
 اساليب الاهتداء الى غرضي فتارة ارى نفسي قريباً من المرمى وتارة اراني بمراحل  
 عنه فاكاد اقنط منه ولكنني تجلدت وطففت اسواق البلدة وانا اقف امام كل مخزن  
 اسمع حديث من فيه وهيئتي الظاهرة تدل على سداجة عظيمة اخفي من تحتها تأجج  
 الآمال والافكار . ولبثت كذلك الى ان مال النهار فلم استفد شيئاً وعزمت على الرجوع  
 من حيث اتيت وقد ايقنت ان هذه المهمة فوق استطاعتي وانها اعسر مما ظننتها  
 لاول وهلة . فسرت الهويني وانا مطرق في الارض اتأمل ولما بلغت منتصف  
 الشارع استلفت نظري اثنان تلاقيا وبعد ان اكملتا عبارات السلام قال احدهما

للآخر اعذرني فاني لا استطيع ان اطيل الوقوف معك الآن لان علي اشغالا مهمة ولكنني آمل ان اراك هذا المساء عند بائع التوايت . فقال الثاني لا بأس وستراني هناك في الميعاد ثم افترقا وسار كل منهما في طريقه . ولم يكن في كلماتهما شيء موزي ولكنها اثارت في صدري عاصفة وملأت رأسي افكارا وشعرت ان نظري يتبع المتكلم الاول عن غير قصد ثم وجدت قوة تدفعني الى اتباعه فسرت وكنت اكرر كلماته الاخيرة « آمل ان اراك عند بائع التوايت » وانا افكر في ما عسى ان يكون هذا الاجتماع في محل بائع توايت وحدثتني نفسي ان ربما يكون في الامر باب اتوصل منه الى كشف ما انا ساع وراءه . واذ ذاك اسرعت الخطى لاتباع الشخص المذكور وكان قد بلغ متهى الشارع وعطف يمنة فتبعته الا انه كان قد سبقني شوطا فلم أراه ورأيت في آخر الشارع الثاني طريقا تؤدي الى الشمال وأخرى الى اليمين فوقفت حائرا في اي الطريقين آخذ وبعد بضع دقائق رأيت الشخص المذكور قد خرج من باب بالقرب مني واقلب راجعا بدون ان ينتبه الي . وعزمت ان لا ادعه يفوتني هذه المرة كالاولى فسرت وراءه وهو يتقدمني الى ان دخل مطعما وطلب شيئا يأكله فتحقت انه سيبقى هناك على الاقل نصف ساعة وحينئذ عدت الى حيث وجدته حتى بلغت الباب الذي خرج منه وبيننا انا اتفرس فيه اذ وقعت عيني على هذه الكلمات « محل ون لي لمبيع التوايت » . فتقدمت وقرعت الباب ولما فتح دخلت فاستقبلي رجل قصير القامة عيناه صغيرتان ولكنهما ثقدان تحت حواجبه السوداء وهيئته تدل على المكر والاحتيال . فقلت له ان لي قريبا توفي وقد جئت اشترى له تابوتا . فجعل ون لي يريني اصناف التوايت وانا لا اختار منها شيئا واخيرا قال لي اعطني المثال الذي تريده فاصنع لك المطلوب بكل سرعة فسألته هل يوجد عنده غير ما اراني فقال نعم ان عندي مستودعا عظيما في السرداب الذي تحت قدميك ولكن كل ما فيه كالذي رأيته . فاقشعر بدني عند ذكره السرداب ثم اعطيته وصفا وقياسا وامرته ان يصنع لي تابوتا وان يرسله متى تم الى منزلي واعطيته عنواني . ثم عدت الى المطعم فوجدت الشخص المعهود لا يزال

جالساً الى مائدة الطعام فدخلت وجلست بالقرب منه وطلبت شيئاً آكله . وجعلت في اثناء الطعام اتفرس في الفتى ثم فاتحته الحديث فكان يقتضب اجوبته ويختصر الكلام وهو لا يكاد ينظر الي . فلما فرغت وارتدت ان احاسب صاحب المطعم اخرجت من جيبي بعض القراطيس المالية والنقود . فلما رأى الفتى ذلك حلق بصره وتغيرت هيئته وجعل يكلمني بأنس وكان ذلك ما اتمناه فاخذنا في الحديث واخبرته اني ابن رجلٍ مثرٍ من باكين واني جئت بلدة هونغ شو وانا لا اعرف احداً وقد تضايقت من الوحدة وقلة التسلية . ثم اطلعت خفية اني ميال الى لعب الميسر فاهتز طرباً وقال اذا كان كذلك فانا رهين امرك وان شئت اخذتك الليلة الى محل سري نلعب فيه مع بعض الاصحاب وعسى ان يساعدك الحظ فتربح مقدار ما تنفقه في سفرك

ولبثنا جالسين الى ما بعد الغروب بنحو ساعة فقال هلم بنا وخرجنا وانا اتبعه وقد أيقنت انني سابلغ المرام . ولم يزل سائراً امامي الى ان بلغ محل بائع التوايت فقرع بابه قرعات غريبة ولما فتح الباب دخلنا واستقبلنا ون لي صاحب المحل فعرفه رفيقي بي وقال له اني ابن عمه وقد جئت حديثاً من باكين . ولم يكن ون لي يهمة من يكون الزائر بشرط ان يكون مثيراً فادخلنا ردهة فسيحة في آخرها سلم نزلنا فيه الى عمق خمس عشرة قدماً ونحن في ظلمة حالكة وهناك قرع رفيقي باباً آخر دقات معلومة ففتح لنا فاذا حجرة ذات نور ضعيف على محيطها توايت مجهزة تنبعث منها روائح الخشب المختلف الاجناس وفي وسط الحجرة مائدة عليها مبالغ من الاصفر الوهاج والقراطيس المالية وحولها خمسة او ستة اشخاص يلعبون عليها فتقدمنا وبعد التحية اختلطنا معهم في اللعب . وكنت تارة اربح وتارة اخسر وانا بالحقيقة لا ابالي باللعب ولكني كنت ثملاً بكاس الآمال وقد طمعت في الوقوف على سرٍ يؤدي الى معرفة شيء من الغاية التي اسعى اليها . وكان بائع التوايت ذا مهارة غريبة في الكسب فكان يربح اموال اللاعبين بكل سهولة وكان الجالسون ينصرفون الواحد بعد الآخر بعد ان تخلو جيوبهم ولم يبق في المحل سوى رفيقي الفتى وانا . ورأيت

ان قد تمادى بنا الوقت فطلبت الانصراف غير ان بائع التوايت كان يلح علينا بالبقاء قليلاً واسترسل في اللعب مع رفيقي فربح رفيقي مبلغاً جسيماً وظهر تأثير الخسارة على وجه بائع التوايت . ولما لم يعد في امكاني اللبث نهضت وقلت لهما اني سافارقكما واذهب فحيتهما وخرجت من الباب واخذت في صعود السلم وما كدت ابلغ منتهاه حتى سمعت صوت متوجع يئن ثم تبعه لطمة وسقوط جسم الى الارض . فارتعدت مفاصلي ووقفت مصغياً لالتحقق ذلك واذا ببائع التوايت يناديني قائلاً ارجع ايها المحترم فليس الخروج من هنالك . وكانت الظلمة شديدة فقلت له اين رفيقي قال خرج من الباب الآخر فتعال اتبعك به . فنزلت السلم متحذراً وما بلغت باب الغرفة التي كنا فيها حتى لمع امام عيني نور ساطع وشعرت بضربة شديدة على ام راسي اعدمتني رشدي فسقطت الى الارض مغشياً عليّ .

ولما اقيت وجدت نفسي في حجرة اللعب المذكورة فقممت بتأن وجعلت ابحث في جدرانها فلم اجد فيها منفذاً وهي محاطة بالتوايت . اما الباب فكان مقفلاً باقفال حديدية ولم ار احداً سواي فعدت الى وسط الحجرة فرأيت على مائدة اللعب تابوتاً فظننت انه اعد لوضعي فيه فاقتربت منه واذا ضمنه جثة صديقي الفتي وعلى رأسه اثر ضربة كالتي اصابني . وللحال برقت امامي الحقيقة وعلمت ان ون لي بائع التوايت لم يتعاط هذه التجارة الا لاقتناص الاغنياء وسلب اموالهم فانه يجبرهم الى مغارته ويقتلهم ثم يودعهم في هذه التوايت ويحتال في نقلها الى حيث يطورها بدون رقيب وان الاشخاص الذين يبحث عنهم الحاكم قد اختفوا بهذه الطريقة . وعلمت ان ليس لي وقت طويل للتفكير فللمحال اخرجت جثة الفتي من التابوت وخلعت ثيابي فالبسته اياها ولبست ثيابه ثم القيته على الارض حيث كنت ومنت محله في التابوت . وما كدت افرغ من ذلك حتى شعرت بوقع اقدام ثم فتح الباب ودخل رجلان او اكثر سمعت بينهم صوت ون لي فتقدموا الى الجثة وقد ظنوها اياي فرفعوها الى تابوت آخر واقفلوه ثم تقدموا فاقفلوا عليّ التابوت ايضاً وعلمت انهم سينقلونا الى الخارج فعزمت اني اذا بلغنا الشارع اصيح واجتهد في كسر التابوت

واستعين بالمارة على الخلاص . ثم شعرت انهم تقلوا رفيقي اولاً لانهم خرجوا ولم اعد اسمع صوتهم ووجدت لحسن حظي سكيناً في جيبى فاحتلت بها على فتح ثقب في الخشب مقابل اني فكنت اتنفس منه واختبرت خشب التابوت فوجدته رقيقاً غير متين وان في استطاعتي كسره متى شئت . ومضت عليّ بضع ساعات وانا انتظر فعاد الرجال وحملوني الى الباب فصعدوا بي السلم الى المخزن وسمعت ون لي يوصي الرجل الآخر قائلاً اذا اعترضك احدٌ وسألك عن هذا التابوت فقل انه تابوت فارغ تنقله الى محل فلان واذا بلغت الشاطئ فألقه حيث القيت السابقين . فارتجف جسمي لدى سماع ذلك ولكنني تجلدت فحملني الرجل الآخر الى عربة امام الباب وجعل يجرها هو يده . ولم يزل ساثراً بي وانا لا اعلم الطريق حتى شعرت بوقوف العربة ثم اقترب منها بضعة رجال علمت من قعقة سلاحهم انهم الحرس وسمعت احدهم يقول للرجل ما هذا الذي معك . فقال هو تابوت فارغ اوصله الى منزل ... حسب طلبه . فامرهُ الشرطي بالمرور . ولما هم ان يجروا العربة وضعت في في الثقب وصحت بملء صوتي « لقد كذب القاتل فليس التابوت فارغاً » ثم تمطيت فكسرت التابوت واسرع الشرطي فساعدني واخرجني منه والقي القبض على الرجل وتوجهت تَوّاً الى الحاكم وكان قد قلق لغيابي فاخبرته بجميع ما حدث فسرّ سروراً عظيماً وهنأني بنجاتي من هذه التهلكة ثم وجهه فالتقى القبض على بائع التوابيت وجماعته واستعملوا العذاب الصيني المشهور في تقريرهم فأقرّوا بأعمالهم الجهنمية واعترفوا بقتل الاشخاص الذين اخفوا سابقاً وبذلك تمكن شي لي لنغ من ارضاء ابن السماء بعد ان كان قد سخط عليه فرفع مقامه وزاد في اكرامه . وبعد ذلك عدت فأكملت سياحتي وزرت اسرة عمي فلبثت عندهم اياماً ثم عدت الى البلاط ولا يزال شي لي لنغ يكاتبني ويستهلّ رسائله بشكري لما صنعت معه من الجليل